

سراري رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ أربع ولائد :

- ١ - مارية
- ٢ - وريحانة
- ٣ - وجميلة
- ٤ - ونفيسة



وأما سراريه ﷺ ، فروى ابن أبي خيثمة عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال :
كان لرسول الله ﷺ أربع ولائد : مارية ، وريحانة ، وجميلة ، ونقيسة .

الأولى

مارية القبطية

هي بنتُ شَمْعُونِ أُمَ وَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْسُ الْقِبْطِيُّ صَاحِبُ
مِصْرَ وَالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَبَعَثَ مَعَهَا أُخْتَهَا سَيْرِينَ بِنْتَ
شَمْعُونِ ، وَخَصِيًّا يُقَالُ لَهُ مَأْبُورٌ ، وَأَلْفَ مِثْقَالٍ ذَهَبٍ ، وَعِشْرِينَ ثَوْبًا مِنْ
قِبَاطِي مِصْرَ ، وَبَغْلَةَ شَهْبَاءَ وَحَمَارًا أَشْهَبَ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ يَغْفُورٌ ، وَعَسَلًا
مِنْ عَسَلِ بَنِيهَا - بَبَاءَ مَكْسُورَةٌ فَتُونٌ سَاكِنَةٌ - قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ بَارَكَ النَّبِيُّ
ﷺ فِي عَسَلِهَا لَمَّا أَعْجَبَهُ ، - وَالنَّاسُ الْيَوْمَ يَفْتَحُونَ الْبَاءَ - فَأَسْلَمَتْ ،
وَأَسْلَمَتْ أُخْتُهَا . وَكَانَتْ مَارِيَّةٌ بَيْضَاءَ جَمِيلَةً أَنْزَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْعَالِيَةِ ،
وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَتْ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ عَشْرٍ ^(١) .

(١) المواهب اللدنية [٤١٨/١] .

وروى أن رسول الله ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ ، سَنَةَ سِتٍّ بَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ ، ثَلَاثَةً
مِصْطَفِيَّينَ ، حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ ، وَشِجَاعُ بْنُ وَهَبٍ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي
شَمْرٍ ، وَدَحِيَّةُ الْكَلْبِيِّ إِلَى قَبْصَرَ . فَخَرَجُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى وَادِي الْقُرَى ^(١) فَسَلَكَ حَاطِبُ
إِلَى الْمُقَوْسِ بَكْتَابَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي
أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلَمَ تَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ =

(١) وادي القرى : يقع بين نيهان وخيبر على الطريق من المدينة إلى الشام ، وكان من أعمال المدينة ،
وقد سمي بذلك لأنه من أوله إلى آخره قرى منظومة . [معجم البلدان] .

وروى البزار والضياء المقدسي في صحيحه عن علي رضي الله تعالى

« إسم القبط ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ مَنَّا إِلَىٰ صِفَتِهِ سَوَّيْنَا وَبَيْنَهُ الْإِسْلَامُ وَالْأَنفُ وَلَا تَرْقُ بِهِ كَيْفٌ وَلَا يُجِيزُ بَيْنَنَا بَيْنَهُمْ أَرْثَاءٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا قُلُوبُكُمْ أَنْهَضُوا بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وختم الكتاب^(١) .

فخرج به حاطب حتى قدم الأسكندرية ، فأنبذ إلى حاجبه ، فلم يلبثه أن أوصَلَ إليه كتاب رسول الله ﷺ فقال خيراً ، وأخذ الكتاب فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية ، فكتب إلى النبي ﷺ بكتاب فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ندعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجارينين لهما مكان في القبط عظيم ، وكسوة ، وقد أهديت لك بغلة تركيها ، والسلام »^(٢) .

ولم يزد على ذلك ولم يسلم ، وأهدى النبي ﷺ بغلة بيضاء ، فبقيت حتى كان زمن معاوية ، وأهدى له مارية وأختها سيرين أنزلهما رسول الله ﷺ على أم سليم بنت ملحان ، وكانت جارية وضيئة ، فعرض رسول الله ﷺ عليهما الإسلام فأسلمتا ، قوطيه رسول الله ﷺ مارية وحولها إلى مالي له بالعالية ، وكان من أموال بني النضير فكانت فيه في الصيف وفي خرافة^(٣) النخل ، وبني لها منزلاً فكان يأتيها فيه ، وكانت حسنة الدين ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن .

وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة من النساء وأعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها من أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان عامة النهار والليل عندها حتى قُذعنا^(٤) لها فجزعت نحولها إلى العالية وكان يختلف =

(١) وقد أورد الكتاب كل من ابن عبد الحكم في فتوح مصر والقسطلاني والغزويني والسيوطي والزبيدي والقلقشندي . [محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص : ١٠٥-١٠٦] .

(٢) أورد هذا الكتاب ابن عبد الحكم والقسطلاني والقلقشندي وآخرون . [انظر محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية ص : ١٠٧] وفيه « رسلك » بدل « رسولك » .

(٣) الخرافة : ما يجتنى من الفواكه في الخريف . والمقصود أنها تقيم فيها في الصيف والخريف .

(٤) قال الدكتور أكرم ضياء العمري : في الأصل « فرغنا » وفي الإصالة [١٢/٨] « فرعنا » والقذع : الشتم ، والمقصود أنهم لم يتلفن معها بالكلام ، وكُنَّ شديداً عليها ، ويظهرون لها الجفوة بالكلام وحاشاهن أن يشتمن بفاحش القول .

عنه قال : كثر على مارية أم إبراهيم في قبلي ابن عم لها هو مابور المذكور كان يزورها فيختلف إليها .

هناك فكان ذلك أشد علينا ، ثم رزق منها الولد وحرماه منه ^(١) .

وروي أن رسول الله ﷺ كان معجبا بمارية ، وكانت بيضاء جعدة جميلة فأنزلها رسول الله ﷺ بالعالية بالف في الدار الذي يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم ^(٢) ، كان يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجاب وكان يطأها فحملت ، فوضعت هناك إبراهيم ابنها ، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي ﷺ امرأة أبي رافع ، فأخبرته ، فخرج فيشر النبي ﷺ فوهب له عبداً ، فلما كان يوم سابعه عث عنه بكيش وحلق رأسه ، حلقه أبو هند ، وسماه يومئذ ، وتصديق يوزن شعره على المساكين ورقاً ، وأخذوا شعره فجعلوه في الأرض مدفوناً ، فتنافس فيه نساء الأنصار من ترضعه منهن ، وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ﷺ لما يعلمون من هواه فيها .

وكانت لرسول الله ﷺ قطعة من غنم ترعى بالف ولقاح بذى الجدر ^(٣) تروح عليها . وكانت تؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتنقى ابنها ، فكان جسمها وجسم ابنها حسناً ، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن يزيد بن لبيد بن خدش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد بن عوف بن ميثول بن عمرو بن غنم ابن مازن بن النجار ، فكلمت رسول الله ﷺ أن ترضع إبراهيم فأعطاه إياه ، فكانت ترضعه بلبن ابنها ، فكان عندهم في بني مازن بن النجار وترجع به إلى أمه مارية ويأتى رسول الله ﷺ بيت أم بردة فيقبل عندها ، ويؤتى بإبراهيم إليه ، وكان رسول الله ﷺ يصلها به ، وأعطى أم بردة قطعة من نخل ، فتناقلت بها إلى مال عبد الله بن زمة ، وتوفى إبراهيم في بني مازن عند أم بردة وهو ابن ثمانية عشر شهراً ^(٤) . فقال رسول الله ﷺ : إن له مرضعة تنم

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢١٣-٢١٢/٨] عن حديث عائشة رضي الله تعالى عنها بإسناد آخر من طريق الواقدي .

(٢) مشربة أم إبراهيم معروفة بالعالية ، وبشرها داخل مسجد المشربة الذي يقع الآن وسط مقبرة مسورة ، وهو مهجور ، وتبعد المشربة نحو ثلاثة كيلو مترات عن المسجد النبوي من جهة الجنوب الشرقي منه . [العياشي : المدينة بين الماضي والحاضر ٤٢٦-٤٢٨] .

(٣) ذى الجدر : مرعى على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ تروح عليه إلى أن أغبر عليها وأخذت . [معجم البلدان] .

(٤) في مصنف عبد الرزاق [٤٩١/٧] « سنة عشر شهراً » وقال الحافظ ابن حجر : « جزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر » .

وقال ابن حزم : مات قبل النبي ﷺ بثلاثة أشهر .

واتفقوا على أنه ولد في ذي الحجة سنة ثمان . فتح الباري [١٧٤/٣] .

فقال لي رسول الله ﷺ : « خذ هذا السيف فانطلق به فإن وجدته عندها فاقتله » .

قال قلت : يا رسول الله أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحممة لا يسبقني شيء حتى أمضي لمّا أمرتني به ؟ أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟

= رضاعه في الجنة ^(١) ، وغسلته أم بردة وحمل من بيت أم بردة على سرير صغير ، وصلى عليه رسول الله ﷺ بالبقيع ، فقيل له : يا رسول الله أين تدفنه ؟ قال : عند فرطنا ^(٢) عثمان بن مظعون ، وكان عثمان أول من دفن بالبقيع .

وتوفى رسول الله ﷺ ومارية في ملكه ، فعتقت فاعتدت ثلاث حيض بعده ، وكانت في مشربتها ينشق عليها أبو بكر حتى توفى ، ثم ولي عمر فكان يصنع مثل ذلك حتى توفيت في أول خلافة عمر لستين من خلافته في شهر رمضان ، فبرئ عمر بحشر الناس إلى شهودها ، ثم حطوها من منزلها ، حتى وضعوها ببقيع الغرقه ثم صلى عليها عمر وقبروها بالبقيع .

وروى أن رسول الله ﷺ قال في أهل الذمة : أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإن لهم نسباً وصهراً ، قال عمر مولى غفرة : نسبهم أن أم إسماعيل النبي منهم وصهرهم أن رسول الله ﷺ استسر منهم .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل هاجر وهي أم العرب من قرية كانت أمام القرما ^(٣) . وأم إبراهيم مارية سرية النبي ﷺ التي أهدى له المقوقس من خفن من كورة أنصنا . وروى أن إبراهيم ابن النبي ﷺ توفى ، فخرج به ، وخرج النبي ﷺ يمشي أمام سريره ، ثم جلس على قبره ، ثم دلى من قبره فلما رآه رسول الله ﷺ قد وضع في القبر دمعت عيناه ، فلما رأى أصحابه ذلك بكوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فأقبل عليه أبو بكر فقال : يا رسول الله تبكى وأنت تنهى عن البكاء ؟ فقال النبي ﷺ : يا أبا بكر تدمع العين ، ويوجع القلب ولا تقول ما يسخط الرب . قال : ثم دفن فقال النبي ﷺ : هل من أحد يأتيها بماء نظهر به قبر إبراهيم ؟ قال : فأوتى بماء فرش على قبر إبراهيم ، ثم وضع يده اليمنى من عند رأسه ثم قال : خست عليك يا الله من الشيطان الرجيم .

وروى أن رسول الله ﷺ رش على قبر إبراهيم ابنه ، وختم عليه يديه ، وقال عند رأسه : السلام عليكم .

من كتاب أزواج النبي ﷺ لابن زبالة ، رواية الزبير بن بكار [٧٣] .

(١) سيأتي تخريجه في باب بنات النبي ﷺ .

(٢) الفرط : السابق .

(٣) القرما : مدينة في ميناء على ساحل البحر المتوسط .

قال : « فافعل » . فأقبلت متوشحاً السيف ووجدته عندها فاخترطت السيف ، فلما رأيته أقبلت نحوه عرف أنني أريده ، فأتى نخلة فرقاها ثم رمى بنفسه .

قال قتادة : ثم شغل برجله فإذا هو أجب أمسح ماله قليل ولا كثير . فغمدت السيف ثم أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت^(١) .

وروى البزار بسند جيد عن أنس قال : لما ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية جاريته وقع في نفس النبي ﷺ منه شيء حتى أنه جهيريل عليه الصلاة والسلام فقال : السلام عليك أبا إبراهيم^(٢) .

وهب عليه الصلاة والسلام أختها سيرين بنت شمعون لحسان بن ثابت فهي أم ولده عبد الرحمن بن حسان كذا في سيرة الشامي ، إلا قوله : وهب ، ففي المواهب^(٣) .

وقال في الروض الأنف : أعطي عليه الصلاة والسلام حسناً جاريته سيرين بضرب صفوان بن المعطل له .

قلت : كان السبب في ضرب صفوان بن المعطل حسناً بالسيف في وجهه ما كان من حسان من الخوض في حديث الإفك ، لأنه المرمى به عائشة . وذكر أن حسناً عمى آخر عمره وكان سببه تلك الضربة من

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢٤٨، ٢٤٧/٨] نحوه ، ورواه الحاكم في المستدرک [٤٠/٤] وقال : صحيح على شرط مسلم . وسكت عنه الذهبي ،

وأجب أمسح بعبوب ، مقطوع الذكر . النهاية في غريب الحديث [٢٣٣/١] ، ورواه البزار [١٠٧٨-مختصر] وقال لا نعلمه عن النبي ﷺ من وجه متصل إلا بهذا الإسناد . وقال ابن حجر : وإسناده حسن ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٣٢٩/٤] وقال : رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، ولكنه ثقة ، وبقي رجاله ثقة .

(٢) رواه البزار [١٠٧٩-مختصر] ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٣٢٩/٤] وقال : رواه البزار ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وبقي رجاله رجال الصحيح ، ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى [٢١٤/٨] .

(٣) المواهب اللدنية [٤١٨/١] .

صفوان . فأعطاه عليه الصلاة والسلام سيرين أخت مارية هذه وهي أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر ، وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة إبراهيم بن رسول الله ﷺ .

وقد روت سيرين عن النبي ﷺ حديثاً قالت : رأي رسول الله ﷺ خللاً في قبر ابنه إبراهيم فأصلحه وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مَنْ الْعَبْدَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ »^(١) .

الثانية

ريحانة

وهي بنت شمعون أيضاً ، من سبي بني قريظة وقيل : من سبي بني النضير ، والأول أظهر ، وكانت متزوجة فيهم رجلاً يقال له الحكم ، وكانت جميلة وسيمة ، وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفى رسول الله ﷺ ، فخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام ، فأعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشأ ، وأعرس بها في المحرم سنة ست في بيت سلمى بنت قيس النجارية بعد أن حاضت حيضة ، وضرب عليها الحجاب ، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة فأكثر البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحال فراجعها ، ولم تزل عنده حتى مات مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ، ودفنت بالبقيع ، وقيل : كانت موطوءة له بملك اليمين ، وهذا جزم به خلائق .

قال في المواهب^(٢) : وكان ﷺ يطؤها بملك اليمين ، وقيل : أعتقها وتزوجها .

(١) رواه الطبراني في الكبير [٧٧٦/٢٤] ، وابن سعد في الطبقات الكبرى [٢١٦/٨] ، والبيهقي في شعب الإيمان [٥٣١٢، ٥٣١٣، ٥٣١٤] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [١٦٥/٩] : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما الواقدي وفي الآخر محمد بن الحسن بن زُبَّالة ، وكلاهما متروك . وحسن الألباني في الصحيحة [١١١٣] لشواهده .

(٢) المواهب اللدنية [٤١٨/١] .

الثالثة

جميلة

وأصابها من السبي ، فأكدنها نساؤه وحفن أن تغلب عليه .

الرابعة

نفسية

وهبتها له زينب بنت جحش ، وكان هجرها - يعني زينب - في صفة بنت حبي ذا الحجة والمحرم وصفر ، فلما كان في شهر ربيع الأول الذي قبض فيه النبي ﷺ رضي عن زينب ودخل عليها فقالت : ما أدرى ما أجزيك به ، فوهبتها له . كذا ذكره الشامي ناقلاً لكلام أبي عبيدة معمر بن المثنى^(١) .

= وروى أن اسمها : ربحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، وأنها قالت : كنت تحت زوج محب لي مكرم ، فقلت لا أستخلف بعده ، وكنت ذات جمال . فلما شبي بنو فريظة عرض السبي على رسول الله ﷺ فكنت فيمن عرض عليه فأمر بي ، وكان يكون له صفى من كل غنيمة . فلما عزلت خار الله لي ، فأرسل بي إلى بيت أم المنذر بنت قيس أهنأ حتى قتل الأسارى وفرق السبي ، فدخل رسول الله ﷺ علي ، فدعاني فأجلسني بين يديه . فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه . فقلت : فإني اختار الله ورسوله .

فلما أسلمت ، اعتقني وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشأ كما كان يصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر ، وكان يقسم لي كما يقسم لساته . وكان رسول الله ﷺ بها معجباً ، لا تسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . لقد قيل لها : لو كنت سألت رسول الله ﷺ سبي بني فريظة لأعتقهم . فكأنت تقول : لم يخل بي حتى فرق السبي .

فلم تزل عنده حتى توفيت مرجعه من حجة الوداع ، فدفنها بالبيع ، وكان تزوجه إياها ستة سنة من الهجرة .

منتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ لمحمد بن الحسن زبالة ، رواية الزبير بن بكار [ص: ٥٥-٥٦] .

(١) انظر الإصابة [١١٨١٩] .